التقديم :

https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)

الآريون فى الهند: التمدن الرگويدى

نصوص رگويدا عن الأصليات الآرية

يعتبر تاريخ الهند فى الأعلب تاريخا للآريين فى الهنـــد. فيبدأ التاريخ من زمان ظهور الآريين فى الهند وأقدم مرجعه هو المؤلف المعروف بـ «رگويدا سمیتا» (Rigveda-Samhita)، وهو ليس بأقدم كتاب عن الآريين الهنديين فحسب، بل أيضاً عن سلالة الآريين بأكملها فالكتاب لا يوضح فقط ابتداء التاريخ الآرى فى الهند، بل أيضاً يبين تاريخ الآريين فى أماكن أخرى، ويبين هيئة اللغة فى عصر ما قبل التاريخ (كالصرف، والتلفظ، والأوزان)، وهيئة المذهب، وهيئة الحضارة على العموم

اللغة الآرية ووطنها المشترك

وجد اللغويون بأنه يظهر فى لغة رگويدا وتراكيب نحوها ومصادر أفعالها علاقة بالفارسية، واليونانية، واللاطينية، والتوتونيـة، والسلتية، والسلاوية، كأن هـــذه اللغات هى الخلفاء لسلف مشترك فيوجد لديهم ألفاظ مشتركة تعبر عن القرابة الابتدائية، أو عن التجربة الأساسية فى الحياة مثلا الألفاظ التى تعبر عن الأب، والأم، والولد، والبنت، والرب، والقلب والدموع، والفأس والشجر، والكلب والقبر.

فللأم:

فى السنسكرتية	:	ماتَر	(Mātar)
فى اللاتينية	:	متر	(Matar)
فى الانكليزية	:	مدر	(Mother)

وللولد

فى السنسكرتية	:	سونُ	(Sūnu)
فى اللتيوانية	:	سونو	(Sūnu)
فى الألمانية الفوقانية	:	سُ نُ	(Sunu)
فى الانكليزية		سَن	(Son)

هـــذه الشهادة اللغوية، هى شهادة مهمة فى التاريخ عن العهد الابتدائى فالعلاقة كهذه فى ما بين اللغات، تشير إلى أساس مشترك للغة مشتركة نطق بها فى موطن مشترك أجداد من ينطق بها الآن والناطقون بهذه اللغات أصبحوا أقواما منفصلين راحلين من موطنهم المشترك الأصلى، ولكن أجدادهم كانوا قوما واحدا آريا. ويمكننا أن نسميهم «ويرور» بمناسبة لفظ ويرور بمعنى «رجال» الوارد فى أكثر هذه اللغات.

والسؤال هو، ما هو الموطن الآرى الأصلى — بلاد ويروز؟ يستنتج ذلك فقط من المعلومات التى نجـــدها فى هذه اللغات الهندية - الأوربية أو الهندية - الألمانية. فأولا لم يسكن «ويرور» فى جزيرة أو حتى على مقربة من البحر لأنه ليس له عندهم اسم. ثانياً إنهم قـــد عاشوا فى جو معتدل حيث عرفوا خشب قرو (oak)، وخشب الزان (beech)، والصفاف (willow)، وبعض الأشجـار التى بها ثمار مخروطية (coniferous). ثالثا كانوا قوما مقيمين (غير مسافرين)، حيث زرعوا الحب برعاية الشهور، وربوا الحيوانات مثل الثور والبقرة، والغنم والفرس، والكلب والخنزير، ما عدا الحمار، أو الجمل، أو الفيل. ويشير الفرس والبقر بوبتهما حالة متضادة. فالفرس يسكن فى أراضى ممهدة مكشوفـــة وفلوها يتبع أمـه فى تجولاتها. وأما البقرة فهى تبقى قريبة من عجلها فى رعيها. فعلى هذا، لا بد للوطن الآرى أن يكون مزيجـا لمقامات زراعية ومكلئة — أراضى ممهدة لتربية الخيل،

ومنحدرة لرعي الغنم.

إن هذه المقدمات عن النباتات والحيوانات، طبقا لما قاله الدكتور كائيلس فى تاريخ كيمبرج للهند (Dr Gile's Cambridge History of India)، تنفى الأماكن الآتية حتما أن تكون إحداها وطنا مشتركا للآريين كما قد زعم:

١ - الهند،

٢ - جبال پامير التى اشتهرت لعدم أهليتها فى الاستيطان الابتدائى،

٣ - الأراضى الممهدة الشمالية فى أوربا التى كانت فيها أدغال كثيفة فى الأيام الغابرة،

٤ - الأراضى الممهدة الجنوبية فى الروسيا،

٥ - مناطق القطب الشمالى

ويرى الدكتور أن المناطق فى أوربا التى تشتمل الآن على المجر، والنمسا، وبوهيميا، تطابق المقدمات المذكورة

الهجرات الآرية

الآريون الذين هاجروا من هذا الوطن الأصلى إلى الشرق (وبهم يتعلق تاريخ الهند)، وتفقدوا مزارعات جديدة ومكلآت نكرة، لا بد أن تبعوا السبيل السهل على طول نهر دينيوب (Danube) الموصل إلى والاچيا (Wallachia)، وفى أقصى الجنوب إلى باسفورس (Bosphorus) والدردنيل (Dardanels). وبعد عبور هذه المناطق ومسطحات آسيا الصغرى لا بد أن وصلوا إلى المياه العالية من جبال يوفرت (Euphrates) وتيگرى (Tigris) — متحسين الحضارة المقتدرة التى ترعرعت فى ما بين سلسلة الجبلين — إلى أن نزلوا فارس بالطريق التى تقع بين تبريز وطهران، أو تقدموا أبعد منها إلى مشهد، وهرات، وبكتيريا.

المشابهة بين «رگويدا» و«أوستا»

إن الآريين الذين كانوا أجدادا للهنديين والايرانيين قد استوطنوا هذه

المنطقة. وعليه فكتاباهما المقدسان، رگويدا وأوستا، يديان تطابقاً فى اللغة والفكر أكثر مما هو فى اليونانية أو اللاطينية أو فى مؤلفات أخرى هدية ـ ألمانية. «يمكن كتابة ألفاظ وجمل وحتى أشعار من حروف لغة الهد إلى حروف لغـــة إيران بدون أى تعيـير فى الكلمات والـتركيب» (يقوله الدكتور گائيل). ويمكن تشريحه بالأمثله الآتية.

١ — الشعر

أوستائيه (إيرانيه)	معادلها فى الويدية
تات توا پرسا ايرس	تات توا پريچا ريحو
مونى ووچا	ما واچ
أهورا	أسورا
تاچيت	تاچيت
مردا	مريستا
وسمى	وشمى
أياچا	أياچا
ويدى	ويدى

٢ — الآلهة

اندرا	اندرا
وايو	وايو
مترا	مترا
موبائيتا	ناساتيا
ويرى تراگنا	ورى تراگنا

فيظهر من هذا أن أجداد الهدوس والفرس قد عاشوا معا لمدة أطول بالنسبة

إلى أقاربهم الآريين الذين كانوا قد هاجروا إلى الغرب. فكأنهم فى الجيل الأخير الذى غادر الوطن الآرى، ويدل على ذلك لغتهم التى حملت قسمة كبرى من التراث الأصلى الآرى المشترك، من النحو، والألفاظ، والأساطير، والقصص.

عهد رگويدا: الدلائل الأجنبية والهندية

فالآن السؤال هو، ما هو تعيين العهد الذى وقعت فيه هذه الهجرات الهامة؟ يبعث من منبع أجنبى ضوء صدفة على هذا الموضوع. قد أسفر الغطاء عن بعض التسجيلات المؤرخة حوالى ١٤٠٠ ق. م. التى عثر عليها فى «بوغاز-كوئى» (Boghaz-Koi) فى الشرق الأدنى، وهى تسجل بعض الاتفاقات التى أنجزت بين ملك الحثيين وملك ميتانى، وتذكر فيها بعض الآلهة كالوكلاء والشهداء على تلك الاتفاقيات وقد وردت أسمائهم كما يلى:

إيلانى مى-ايت-را أس-سى-ايل (إيلانى)

«أو-رو-و-نا-أس-سى-ايل (ايلو) إن-در (إيلانى) نا-سا-ا (تا-تى-إيا-ا) ن-نا»

تعتبر هذه الأسماء أنها تطابق أسماء الآلهة الرگويديين «مترا»، و«ورونا»، و«إندرا»، والقسمين من «ناستيا». وبناءاً على أن هؤلاء الآلهة معروفون لدى أوستا أيضاً، ظن بعض العلماء أنهم كانوا الآلهة المشتركة للقوم الآرى الموحد قبل تقسيمه فى الهنديين والايرانيين. ولكن هجاء الأسماء فى الكتابة التى تتعلق ببلاد ما وراء النهرين يشير بالوضوح انتمائه إلى الأصل الرگويدى. فان كان كذلك فلا بد لنا أن نفترض أن رگويدا وثقافته قد شيدا نفسيهما فى الهند قبل ١٤٠٠ ق. م. بكثير حتى قدرا على أن يطلقا أثرهما على ثقافة الشرق الأدنى فى ذلك العهد.

إن الكتابات الشهيرة من تل العمارنة (Tel el-Amarna) تنتمى إلى نفس العهد

الذى يحدد فيه بعض كتابات بوغار-كوئى . وقد ذكر فيها بعض ملوك ميتانى بأسماء سنسكرتية فى التلفظ، أمثال: آرتاتاما، وتسرتا، وستاربا. ويحمل أيضاً أسماء ملوك كاسى (Kassites) الدين حكموا بابل ما بين ١٧٤٦ و ١١٨٠ ق م.، أسماءاً سنسكريتية مثل «شورياس» (سوريا)، و «ماريتاس» (ماروتاس الويدى)، وغيرهما وتوحد فى مكتبة أسوربانى پال فى حوالى ٧٠٠ ق. م. قائمة للآلهة الدين عبدوا فى أشوريا، وفيها إسم اسارا-ماراس مساو للاله الأوستائى الكبير: أهورا-مردا، ولو أن تلفظ «أسارا» أقرب إلى كلمة «أسورا» السنسكرتية من كلمة «أهورا» الأوستائية .

وتشير شهادة الأدب الهندى إلى نفس قدم العهد للهجرات الآرية ولوجود رگويدا. وإذا ترعرعت البودية فى الهند فى القرن السادس ق. م. فلا بد للثقافة البراهمية وأدبها أن تكونا أقدم منها لأن البوذية تعترف بها ولنا أن نسمح ربما كاف لنمو الأدب البراهمى بأقسامه المتنوعـة سوترا، وآريباكا، وأوپانيشاد، وبرهما، وسميتا الويدى الأربعة التى سبقتها المواد الأصلية التى رتبت فى ما بعد فى سميتا الرگويدى. فعـلى أقل التخمين، نصل إلى ٢٥٠٠ ق م فى تعيين عهد رگويدا .

يكشف رگويدا العطاء عن حضارة متقدمة

لا توحد فى رگويدا نفسه ولا إشارة إلى هده الهجرات، بل هو يشير إلى شعب قد سكنوا البلاد، وإلى معاشرة منظمة، وإلى حضارة قد بلغت رشدها . وبموجب النظرية الهندوسية السائدة، لا يظهر من رگويدا أشعة ثقافة الهند الابتدائية أو فجرها، بل يظهر أوجها فى الثقافة . فكأن إلاهة الحكمة، والحرب، والفنون والعلوم والشعر كانت قـد ولدت بعدتها الكاملة . إن رگويدا هو الجزر لشجرة الفكر الهندوسى بتفرعها فى عدة فرق، ومعتقدات فلسفية، وطرق فى العبادة. فهو

لا يزال الأصل الوحيد المسلم به فى العبادة. فيوجد فيه «گيانترى منترم» الذى يفوه به إلى يومنا هذا ملايين من الهندوس كلمة كلمة معتقدين فى المفعول السرى فى كل حركات ألفاظه وسكناتها، ويأبون عن تبديلها فى عبارة بشرية أخرى.

الهند الرگويدية. أنهارها، ومناطرها، وشعوبها

إننا نرى فى رگويدا أن الآريين قد ملكوا إقليما واسع المساحة واشتغلوا فيه بحطهم وثقافتهم. وبعض التفاصيل الجغرافية التى نجدها فى رگويدا تشير إلى الحدود الهندية الرگويدية. فقد ذكر فى الغرب أنهار كوبها (أى كابل)، وكرومو، وگوماتى، وسواستو (أى سوات)، إشارة على سيطرة الهند على أفغانستان فى تلك الأيام. وذكر بعد ذلك الأنهار الخمسة فى پنجاب سندهو (إندس)، وتاستا (جهلم)، وأسيكنى (چناب)، وپروشنى (إيراوتى أو راوى)، ووپاس (بياس)، وكذلك سوتودرى (ستلج) وسرسوتى. وذكر جمنا وگنگا أيضاً. وقسم أناشيد الصبح من رگويدا يستدعى إلى الأذهان بهاءات الصبح فى پنجاب، ولكن قسما أكبر منه يتخصص بنزاع الطقوس، وبالرعد والبرق، وبانشقاق الأمطار من الغيوم، وبالجبال التى لا ترى فى پنجاب بل فى المنطقة تسمى براهماورتا التى تسيل إليها مياه أنهار سرسوتى، ودريشادوتى، وأپايا. ولا بد أن معظم رگويدا قد رتب فيها.

وقد وزع كل هذا الاقليم على عدة شعوب ويدية. وقد ذكر البعض الأهم منها وسمى بقوم گندهارى (المشهورين لصناعات صوفهم)، وقوم مجاونت (على الشاطئ الجنوبى لنهر كوبها)، وأقوام أنو، ودرويو وتورواسا (على خطة نهر پروشنى)، وقوم پورو وشعب وسط البلاد.

تطوره السياسى: حرب الملوك العشرة

كان تدرج الوحدة السياسية فى الهند الرگويدية فى معمعان الحركة. يقول

رگويدا عن حرب الملوك العشرة خلاف سوداس، ملك شعب بهارتا. وكانت الحرب بسبب المنافسة فى السيادة فى ما بين الشعوب من الاستعمارات القديمة فى شمال الغرب والمتأخرة منها فى براهماورتا. ويظهر أن هذه الحرب الويدية العظمى قد استغرقت جميع الهند الرگويدية مع من كان من الشعوب غير الآرية. فكان هناك خمسة أقوام فى غرب إندس. قوم أليا (من كافرستان الحالى)، وقوم پختا (التى تذكر پختون الأفغانية)، وقوم بهلاناس (ولعلهم من ممر بولان)، وقوم سيوا (من وادى إندس)، وقوم وشانين. وكان أيضاً خمسة أقوام من داخل الهند، وهم أنو، ودورويو، وتروسا، ويادو، وپورو. وقد شمل الامتزاج أيضا على ثلاث أقوام شرقية من نهر جمنا الذين قد اعتقد بأنهم كانوا غير الآريين، وهم أجا، وسيگرو، وياكشو، وقادهم رئيسهم بيدا. وكان فى العصبة سيمبو ملك غير آرى آخر. والملوك الآريون الآخرون الذين ذكروا، هم كواشا، وسمرا، وويكارنا الاثنان اللذان أضافا إلى العصبة من قبلهما واحدا وعشرين قوما من أتباعهما. وظهر فرقة ريشى كالمدبرين للملوك، والقائدين فى حربهم. وكان ويسوامترا يقود العصبة ضد سوداس الذى كان يتبع أوامر واسستا. وقاد بريگو قوم أنو. وغلب سوداس وأقام سيطرته على جميع الهند الرگويدية.

ويمكن أن يذكر من الأقوام الرگويدية المهمة، علاوة عن قوم بهارتا، قوم پورو، الذين انضموا بعد ذلك بمعية قوم بهارتا فى قوم كورو، وحلفاءهم كريوى، وقوم سرنجايا.

وكان تنافس السيادة فى ما بين الأقوام الآرية المختلفة جزء من التطور التدريجى الذى كان يتجه إلى تكوين مجموعة سياسية كبيرة، وتوحيد الهند الرگويدية تحت سلطان أو حاكم رئيسى. وحصول السلطة الآرية على السكان الأصليين غير الآريين لم يكن جزءاً ضئيلا فى ذلك التطور.

ويتوفر فى رگويدا لمحات هــذه المناقشة المبدئية بين الآريين وبين غيرهم وكانت لهذه المناقشة أسباب ثقافية وسياسية.

الغير الآرى فى رگويدا

يطلق رگويدا على الغير الآرى اسم داسا، أو داسيو، أو أسورا. وقد ذكر أسماء أفراد من القائدين غير الآريين أمثال ايليبيسا، ودونى، وچومورى، وپيپرو، وورچين، وسمبرا. وأسماء أخرى لأقوام غير آريين أمثال سيميو، وكيكاثا، وأجا، وياكشو. وسيگرو الذين قد أشير إليهم. وفى رگويدا إشارة إلى قومين مرذولين پيساچا وراكشاسا اللذين صرحا صرخات مخيفة فى الحرب.

ولقد حدد التميز بين الآرى وبين غير الآرى طبيعيا وثقافيا. فالغير الآرى هو أدكن الجلد وبدون أنف أو أزلف الأنف (مثل الدراويدى): (١) كلامه مخالف، أى يتكلم لغة تختلف كليا من السنسكريتية الويدية؛ (٢) محروم من الطقوس الويدية؛ (٣) لا يعبد الآلهة الويدية؛ (٤) محروم من الورع؛ (٥) لا يضحى؛ (٦) عاص؛ (٧) يتبع شريعة غريبة؛ (٨) يسب الآلهة الويدية؛ (٩) يعبد الذكر.

وساق الآريون غير الآريين إلى الغابات والجبال، أو أخذوهم أسارى. فيشير الأدب الويدى بكثرة إلى «داسى» أى الأمة (الجارية). وفى رگويدا، فى قسمه پوروشا سوكتا، يذكر تخليق الفرق الأربعة من الجسم العمومى من الرب. والفرقة الرابعة منها قد تشكل من سودرا الذى يتضمن العبيد. وكان هناك عاملا لا مناص منه وهو المزج بالتدريج ما بين الآرى وغير الآرى بسبب التزاوج أو التحالف. وقد ظهرت أمثال هذا التحالف فى حرب الملوك العشرة كما قد ذكر. فكان للآرى أن يواجه فى الهند مأمورية ذات ثلاث طبقات: أن يظفر، ويستعمر، ويهذب. فكان عليه أن يتغلب على العنصر الأصل ويدعه

ولكن لم يكن من السهل البسيط للآرى أن يعطل الجلد الأسود. كان غير الآرى فى عهد رگويدا محصنا تماماً فى حصون حضارته التى كانت من جهة المادة متقدمة. يذكر رگويدا عن مدنه وقلاعه المصنوعة من الحديد أو الحجر، وعن قلاع وسيعة وفسيحة مملوئة بالبقرات، وقلاع ذات مائة عمود، وقلاع حربية للالتجئ ضد الفيضانات.

وتوجد مخلفات هذه الحضارة فى خرائب المدن التى اكتشفت فى هارابا وموهنجودارو كما قد ذكر. فالمخالفون الرئيسيون من غير الآريين فى رگويدا، هم قوم پانى، قوم تجار على ما يزعمه ياسكا — ولعلهم هم البناة لهذه الحضارة التجارية فى وادى إندس (السند). فالآثار التى عثر عليها تحتوى على النقود وأشياء مصنوعة من الصدف التى قد استنتجت من تجارة بحرية فعلى هذا، كان للآريين أن يجاهدوا ضد حضارة متقدمة فى وادى إندس التى كانت بها مدن كثيرة والتى كان لهم أن يخضعوها. فموجبه قد سمى إلاههم إندرا « ناهب المدن ».

وتلقى عدة عبارات منتخبة من رگويدا ضوءاً على الاصطدامات بين الآرى وبين غير الآرى. فتوصف الأرض فى محل بأنها قبر للعبيد؛ وتوصف الاله إندرا بأنه ينهب مدن العبيد السود، ويفنى جيوشهم، وتشير إلى دفع ٥٠،٠٠٠ عدو ذى بشرة سوداء فى ميدان الحرب؛ وقتل ٣٠،٠٠٠ عدد من العبيد؛ وتشير إلى حصار ١٠٠ مدينة لـ «وانگريدا» غير الآرى على يد «ريجيسوان» وحربه ضد «نسل أسود». وتشير عبارات كثيرة إلى نهب قلاع العبد الجبلى وسمبرا وذكر عـددها ٩٠ فى محل، و ٩٩ فى محل آخر، و ١٠٠ فى محل. والدعاء الآرى لدى الاله إندرا يلخص الحال هكذا:

«إننا قد أحاط بنا قبائل داسيو من جميع الجهات فهم لا يقربون التضحية؛ ولا يعتقدون فى أى شىء؛ وطقوسهم مختلفة؛ وهم ليسوا بآدميين! يا مهلك

الأعداء! أهلكهم. وأهلك نسل داسا (العد)».

المجتمع: الزواج والعائلة

كان المجتمع الرگويدى على نظام متقن. وكانت وحدته العائلة التى كان كبيرها رباً لها. وكان الرجل يعتقد أساسيا بوحدة الزواج. ولم يعرف زواج إمرأة بأكثر من رجل واحد. وكان الزوج رب البيت وكانت زوجته ربة البيت. وكانت الأخلاق الجنسية عالية. ولم يبح مضاجعة المحارم أى زواج الأب بالبنت أو زواج الأخ بالأخت. ولم يعرف أيضا الزواج الطفلى ولو أنه شاع فى ما بعد. وكانت هناك حرية الانتخاب فى الزواج. وعاشت البنات تحت حماية أبويهن وبعد وفاتهما تحت وقاية إخوانهن.

وكانت عادة الموهبات فى الزواج مألوفة. ويظهر من الأناشيد الرگويدية عن الزواج أن العروس كانت بعد زواجها تنقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها، وأنه كان لها فى بيتها الجديد مقاما ساميا كربة البيت، تحكم فيه على أبى الزواج وأمه المتقدمين فى السن، وعلى إخوة الزوج وأخواته. ويظهر أيضا أنه لم يكن فى مستطاع البشر أن يحلل الزواج الويدى، ولم يفكروا فى عقد ثان للارملة ولو أن هناك إشارة إلى الأرملة التى تزوجت بأخى زوجها الذى كان قد مات بدون أولاد. وكانت الزوجة رفيقة الزوج فى الحفلات الدينية.

الميراث

كان الولد يرث أباه ولا ترثه بنته إلا إذا كانت وحيدة فى نسله. وقد اعترف بحق الرجل أن يتبنى ابنا له.

الملكية

واعترف بالحق فى الملكية. وأبيح ذلك فى الأمتعة الشخصية المتنقلة كالمواشى،

والخيل، والذهب، والحلى، والعبيد. وأيضا فى الأرض التى وزعت فى حقول، وقيست الحقول بالعناية التامة، وتركت بينها شقات مصفوفة مشتركة.

الحياة الاقتصادية. المرعى والفلاحة

دارت الحياة الاقتصادية حول المواشى. واستخدم الثور والبقر فى الحرث وجر العربات. واستخدمت الخيل فى جر العجلات وفى المسابقات. والحيوانات الأخرى التى ربوها، هى الضأن، والماعز، والحمير، والكلاب التى استخدمت فى الصيد، ولحرس المواشى وتتبعها، وللحراسة ليلا.

ورعت المواشى على المكلآت تحت مراقبة الراعى وكان مسلحا بالمحاس، وكان عليه أن يصونها من أن تقع فى الثغرات أو تقطع أعضاءها، أو تضيع أو تسرق. وكانت هناك غزوات لنهبها. وصنعوا آذان المواشى علامة الملكية

وعلق رگويدا أهمية عظيمة على الفلاحة وميز بها بين الآرى وبين الهندوسى الذى هو خارج من صبغة البرهماية

وسميت أرض الحرث اورورارا أو كشتيرا. وشدت الثيران إلى المحراث فى سرب، عددها ستة وثمانية وحتى اثنتا عشر وقطعت سبلات الحبوب الناضجة بالمحصد، وجمعت فى حزمات، وضربت على أرض مخزن الغلة. ثم نظفت الحبوب من العصافة بالغربال أو بمروحة التذرية وسمى العامل عليها «دهاياكرت». وكيلت الحبوب بالمكيال.

واستعمل السماد أيضاً. وذكر عمل الفلاحة فى ملخص فى «ستاپاتا براهمنا»: «الحرث، والزرع، والحصد، والدوس».

الارواء

يوجد ذكر آبار للانسان وآبار للمواشى. واستجلب الماء من الآبار بالدلاء.

المشددة بالحبال الجلدية وجرت على جرارة حجرية. فالماء الذى دلى بهذه الطريقة سيق فى مجار واسعة للتروية. وحصلوا على الماء للارواء من بركات وقنوات كذلك.

حشرات الأرض

ويوجد ذكر حشرات الأرض الزراعية كالدويبات، والطيور، والجراد وذكر أن كثرة الأمطار أو امتناعها مضرة للغلة.

الحبوب

يسمى الحب الذى يزرع «ياوا» و «دهانيا». ويذكر كتاب ويدى متأخر عشرة أقسام من الحبوب المزروعة: الرز، والشعير، والسمسم، وأقسام الفول، والذرة، والعدس، وأمثالها.

الثروة

كانت تعد الثروة بالمواشى، وبالخيل، وبالأبطال أو الأبناء النجباء.

الصيد

بالاضافة إلى مهنة رعى المواشى والفلاحة، أخذ الهندوسى الرگويدى بالصيد للقوت، واللهو، ولوقاية المواشى من الحيوانات المفترسة. واستعمل للصيد السهم، والشبكة التى استعملها صياد الطيور. ومسكت الغزلان فى الحفر. وصيدت الخنازير بتعاقب الكلاب، وربقت الجواميس بالربق. وأسر الأسد فى حفرة الصيد، أو قبض عليه بالمرصاد بعد أن سيق إلى حفرة مستورة، أو أحيط به وقتل على يد الصيادين. وأسرت الفيلة الوحشية بالفيلة المألوفة.

الحرف اليدوية

كان النجار هو الأول، يصنع العربة للحرب أو الصيد أو لحمل البضائع

وكان لبعض العربات غطاء. واستعمل الفأس كأداته، وكذلك أنتج أشياء مقوشة لطيفة. وجاء بعده العامل فى المعدن الذى اذاب المعدن على النار واستعمل المنفاخ المصنوع من ريشات الطيور. وصنع الأوانى من المعدن المذاب أو من المعدن المدقوق. وصنع الصائغ حللا من الدهب. واستنتج الدهب من قاع النهر كنهر إندس التى سميت « السيل الذهبى »، وكذلك من الأرض. وصنع العامل فى الجلد أشياء جلدية كوتر القوس، والمقلاع، والاسار لربط حره من العربة، والعنان، ومجلدة السوط والكيس. وكذلك كانت دباغة الجلد معروفة. وكان أيضا هناك الحائك الذى اشتغل بمنسجه. وسمى الوشيعة التى استعملت للنسج « تسارا » وسمى السداة « أوتو »، واللحمة « تنتو ». وتركت الحياكة عموما للنساء. ويمكننا أن نرى عبارة لطيفة تشير إلى والد رجل بأنه كان طبيبا وإلى أمه بأنها كانت طاحنة الحبوب.

التجارة والنقود

كان التاجر معروفا لدى رگويدا. وكان التبادل شائعـا. فعرض تمثال إندرا بقيمـــة عشر بقرات. وقد عرف التماحك فى البيع والشيراء، وكذلك الالتزام بالاتفاقية: « يبيع الفرد كمية كبيرة بثمن زهيد ثم يذهب إلى المشترى وينكر البيع ويطلب ثمنا أزيد. ولكن لا يمكنه أن يزيد على الثمن الذى عين مرة أو يعتذر بأنه أعطى كمية كبيرة. إذا ناسب الثمن أو لم يناسب فالثمن الذى عين فى وقت البيع سيبقى على حاله ». إن تصور النقود يوجد فى ذكر هدية ١٠٠ « نيشكا » و ١٠٠ حصان. وعرف القرض كذلك وكل ذلك خصوصا بسبب ألعاب النرد. وهناك ذكر دفع الثمن أو الثمين إما كالربى أو كجزء الرأسمال.

وعرفت التجارة البحرية. فلا ريب أن رگويدا ذكر « سمدرا » بمعنى الأوقيانوس. وهناك إشارة إلى الخزائن فى الأوقيانوس، ولعلها اللؤلؤ أو مصالح التجارة. وحكاية [illegible] الذى غرقت سفينته فى البحر « حيث لم تكن هناك معونة، ولا راحة

للرجل أو اليد»، وتخلصه منها سميـــة ذات مائة مجداف، تشير إلى الملاحة في البحر.

اللباس

شمل لباس الناس على الملابس التحتانية، والكساء والملابس الفوقانية. وكان ينسج على العموم بصوف الغنم. وكانت بلاد پاروشنى شهيرة بصوفها، كما كانت گندهارا لغنمها. وهناك إشارات إلى الملابس المطرزة صنعتها النسوة. وتوجد إشارات إلى الأجنحة المزينة بالذهب. ولبس النساك ملابس الجلود.

الحلى

استعمل الحسان حليا من الذهب أمثال القروط والقلائد، والأساور، والخلاخل، والأكاليل، وتزينوا بالأحجار الكريمة أيضاً.

ومشط الشعر ودهن. والنساء ضفرنه والرجال بعض الأحيـان رتبوه فى اللمـات وقوم واسستا لفوه على الجانب الأيمن. وذكر أن فتاة رتبت شعرها فى أربع أضافر. وأطلقت اللحى ولكن كذلك حلقت. وقد ورد ذكر المواسى التى حددت على الحجر. وسمى الحلاق «ويتا».

الطعام والشرب

كان اللبن من أهم الأطعمة وكذلك منتوجاته، الزبدة واللبن الحامض. وورد أيضا ذكـر وجبة الحب المطبوخ بالحليب وقسم من الخبز، وأكل الكعك المصنوع من الرز والشعير ممزوجا بالسمن. وصنع الثريد أيضاً من الحب الذى قشر، وجفف، ثم عجن. أما اللحم فكان يؤخـــذ من الحيوانات التى أضحيت، أى الغنم والماعز. وقد اعتبرت البقرة «أگنيا» أى لا تذبح. وحرم المشروبات المسكرة، لأنها أنشأت خصومات فى الاجتماع. وكان هناك مشروب نبات

« سوما » كتقدمة دينية، حث عليها الفصل التاسع من رگويدا وستة أناشيد أخرى. ويوجد النبات على الجبال أمثال جبال موجاونت، أو فى بلاد قوم كيكاتا. ولصناعة المشروب عرض النبات للعملية التى يصعب فهم تفاصيلها. فيوضع على جلد، وعلى رصيف، ويضغط عليه بالحجر أو بالمدقة فى الهاون ليخرج عصيره، وجمع العصير فى إناء چمسو، ولقب "كوب الآلهة"، أو فى إناءى «كلاسا» و «چماسا» كوبى الرهبان. وتارة غطس فى الماء حتى يعصر منه كمية زائدة من العصير. وينسب النبات إلى الكرم الأفعانى، أو إلى قصب السكر، أو حشيشة الدينار ولكنه لم ينسب إليها على علم. وقد نوه بأثراته التى كانت ذات سرور وهيجان.

التسليات

شملت التسليات على مسابقة العربات، ومسابقة الخيل، ولعب النرد، والرقص، والموسيقى. وسمى النساق «أحى»، وسمى حلقة السباق «كاشتا» أو «سپتيا» وكانت وسيعة ومحددة المقياس. وكان يطلق اسم وسپلا على الحصان النشاش أو حصان السباق. ولعبوا النرد بالقمار الذى قادهم إلى الفقر والاستعباد لأن الديون تراكمت ووجب عليهم دفعها. وعاقب الوالد ولده المقامر وسمح الرقص لكلا الجنسين مرافقا بالصوح. وكانوا على علم بالأنواع الثلاثة من الوسائل الموسيقية: القرع، والوتر، والنفخ، أى الطبلة، والعود، والقيثار (بأصواتها السبعة المعروفة والمميزة لديهم)، والمزمار (من القصب).

نظام الحكومة

يمكن أن نجد تطور الهند الرگويدية سياسيا فى سلسلة التشكيلات أو الرهطات الآتية التى تكونت تدريجيا:

١ — الأسرة (گريها)

٢ — القرية (گراما)

٣ — المقاطعة (ويس)

٤ — الشعب (جنا)

٥ — البلاد (راشترا)

الأسرة

كانت الأسرة وحدة تشكل بها المجتمع وشملت على بضعة نفر عائشين تحت رئيس مشترك، وهو الوالد أو الأخ الأكبر. وسكنت الأسرة بيتاً فسيحا يسع فيها جميع أفراد العائلة الغير المقسمة بأسرها، وكذلك سكنته مواشيهم لما رجعت من المرعى فى الليل وأمكن إغلاق البيت بحرها العديدة.

القريـــة

وتألفت القرية («گرام») ببضعة عائلات وأظهر عكسها بالوغل مع ما فيها من الحيوانات والنباتات الوحشية وتارة أطلق كلمة «گرام» على أهاليها وكان فى كل قرية كبيرا لهم.

المقاطعة

كان التشكيل التالى أكبر من السابق وسمى «ويس»، ودل على «مقر» لأن معنى «ويس» فى الأصل، «حل أو استقر» وسمى رئيسها «ويسپالى». ويصعب القول عما هل كان «ويس» المذكور فى رگويدا عبارة عن تجزئة محلية للجرء، أو عن مقاطعة، أو عن جماعة الأقرباء كالعشيرة، ولم يعرف ما كانت علاقته الصحيحة بالقرية أو بالأسرة.

الشعب

إن الشعب أكبر من ويس. ونجد فى رگويدا سلسلة «الأسرة، والمقاطعة، والعشيرة والشعب». ويوجد مقارنة الأسرة بالمقاطعة والشعب. ونجد فى ذكر الشعب

بيان خمسة أقوام معروفة، وبيان قومى يادو وبهارتا. وسمى الملك محافظ الشعب.

البلاد

كان الاصطلاح للبلاد أو للحكومة: راشترا.

الملك

كانت الملوكية الويدية نتيجة طبيعية للظروف التى أحاطت الآريين، فهم كانوا الفاتحين فى بلاد عدائية. فأنتجت الحرب ملكا، فى التاريخ الويدى على العموم كما كان الحال فى الدول التوتونية ويشير رگويدا إلى الورطة المؤلمة التى يجد الشعب نفسه فيها إن لم ينتخبوا أحداً ملكا عليهم يقودهم فى مقاومة الأعداء. فعلى هذا كان الملك قائدا بنفسه فى حرب الاعتداء وأيضا فى حرب الدفاع. وكان يدعى «محافظ الملة» كما قد رأينا، وكذلك «ناهب المدن».

ومكافاة لهذه الخدمات، حصل الملك على الانقياد من رعيته طوعا كان أو كرها. وحصل أيضاً على الخراج الذى أعطوه لتعضيد منصبه السامى. وحصل أيضاً على الهدايا منهم ومن القبائل العدائية كذلك.

وأدى الملك بدوره، فرائض القاضى ولعله كان الملجأ الأخير فى الاستغاثة فى الانصاف الحقوقى. وكان لديه للعقوبة على الجنايات سلطة قضائية. وكان هو نفسه مصونا من العقاب، وحمل سلطة العقاب بكونه المنفذ الرئيسى فى الشعب، واستعمل الجواسيس لعمله.

وكان لخفخة لباسه علامة منصبه الملكى، وبمناسبة مقامه كان له قصر وحشم وخدم. وورد ذكر قصر ذى ألف عمود وألف باب.

وزرائه

كان فى مقدمهم «پروهيت» ومعناه «قرن فى المقدم». وسميت إدارته

« پروهيتى » و « پروها ». وكان هو المصاحب الوحيد للملك كمدبر له أو كمرشد وفيلسوف وصديق. ومن أمثالهم فى رگويدا: ويشوامترا أو واشستا فى خدمة « سوداس »، ملك بهارتا، من أسرة تريتسو. ومن أمثالهم المصاحب للملك كروسراونا، وديوابى المدبر للملك ستناو.

وكانت وظيفته الرئيسية أن يكون كاهنا عائليا للملك. فكان بمثابة نفس ثانية للملك فى جميع أموره الدينية. ولكنه أخذ على نفسه القيادة فى أمور سياسية أيضا وصاحب الملك فى الحرب وشدد إزره بالأدعية لحفظه وظفره. وإن فرقة برهمن هى التى كانت قد استولت على السياسة التى لها أهميتها فى جميع أدوار التاريخ الهندى

شملت حلقة الملك أيضاً على « سيانى » أى قائد الجيش، وعلى « گرامانى » أى قائد القرية للأغراض المدنية والعسكرية ولا بد أن يكون عددا كبيرا من گرامانى فى المملكة ولكن يظهر من الكتب أنها تتكلم عن واحدهم فقط فى حلقة الملك. فكأنه كان نائبا يراعى مصالح القرية وأهاليها. وأطلق كلمتى أپاستى وإينا على رفيق الملك المقرب

الجمعيات

ولقى حكم الملك المطلق شيئا من العنان بوجود هيئات شعوبية سميت « سبها » و « سميتى ». وظهر خلالها رأى الملة فى الأمور المهمة المتعلقة بمصالحهم التى اشتملت أيضا على انتخاب الملك نفسه. وورد ذكر « سبها » فى مواضع مختلفة فى رگويدا ولكنه لا يحدد ميزته ووظيفته بالضبط. واستعمل اللفظ بمعنى جمعية وكذلك قاعة للاجتماعات العمومية لأجل المخالطة الاجتماعية ومباحثة الأمور الشعبية كالبقرات، وكذلك استعملت للعب النرد.

وسمى النمر الذى كان سامياً فى الجمعية: «سبها ساها»، ونفرا أهلا للجمعية: «سبهيا»، وكذلك ورد أن الجمعية لزمها النبلاء، واستحقها الأغنياء. ولعل هذه الألفاظ ترمز إلى الحقيقة أن الجمعية الرگويدية كانت المجلس الشورى للشيوخ والنبلاء.

وورد أيضاً كلمة «سميتى» فى مقامات عديدة فى رگويدا ولكن لا يظهر منها سجيتها الصحيحة. فهناك إشارة إلى الملك بأن شخصيته كانت مألوفة فى «سميتى»، وكان وظيفته أن يلزمه. وجاء فى عبارة أن الملك لقى أصحاب سميتى وأبدى عليهم قوته المنيعة، وجذب إلى نفسه أذهانهم وعزائمهم. وعبارة أخرى تؤكد الحقيقة بأن الاتفاق يلزم بين الملك وبين سميتى لأجل فلاح المملكة.

العـــدل

تقل الشهادات فى هذا الموضوع. وقد شاع قانون المكافأة (وكانت المكافأة بالنقود التى دفعت إلى أقرباء الرجل المقتول) وسمى الرجل «ستـاديا» لأن ثمن دمه كان مائة نقرة. ولكن الجيل غير المقتول «پاني»، سمى «وبراديا» أى الذى استحق العداء لمكافاته.

وتحديد هذه المكافآت يدل على إصلاح فى الطريقة الابتدائية التى أحدث بـ «العين بالعين، والسن بالسن» وكذلك يدل على المانع فى أحد الثأر انفراديا.

والاصطلاحات كـ «أوگرا» أو «جيوا-گريب» أى «القبض حياً»، تدل على وجود حكام الشرطة. وسمى الرجل الذى أقيم للتحكيم «مدياما-سى»، أى الذى وقع فى الوسط. وسمى القاضى للقرية «گراميا-وادين».

الحرب

كانت الحروب الرگويدية للدفاع، وللفتوحات، وللغزوات عـــلى البلاد المتجاورة لجلب الغنائم. وسميت الحرب «يودها» أو «رنا»، وأطلق اسم «پريت»

أو «پريتانا» على الجيش. وشمل الجيش على المشاة، وعلى ركبان العجلات الذين خرجوا إلى الحرب فى جماعات. ونعثر على ذكر عجلات تحارب جيوش المشاة، أو على معركة المشاة الذين حاربوا وجها لوجه ضد ركبان العجلات.

ووصفت أسلحة المحارب فى أحوال داسا-راجا بأنه كان مسلحا بالأسلحة الآتية:

١ - القوس والسهم. وصنع القوس من قضيب قوى ألتوى فى شكل القوس وشدد طرفاه بحبل من جلد البقرة. وأطلق السهم من وسط الحبل وسمى ذلك المحل كرمايونى، أى المحل الذى خرج منه السهم وسميت الكنانة: نيشانگين

٢ - سترة من الزرد سميت «ورما» المكونة بقطعات من صفائح معدنية نسجت بعضها فى بعض، وكذلك سميت «أتكا» ووصفت بأنها كانت من نسيج صفيق.

٣ - محافظ اليد للوقاية من الدلك بحبل القوس.

٤ - المغفر من الحديد أو من الذهب. وسمى المحارب الذى يلبس المغفر «سيپرين».

والأسلحة الأخرى التى أشير إليها هى السيف وغمده وحزامه؛ والرمح، والمزراق؛ والقديفة، وأحجار المقلاع. واستعملت الأسلحة بالمهارة. وشدت الخيل إلى العجلة مثنى وثلاث ورباع، وقادها السائق بالعنان والسوط. وجلس صاحبه المحارب على جانبه الأيسر.

ومن المصحوبات الأخرى للحرب كانت الأعلام، والطبول، والمؤذنين عن الحرب.

ومن طرق الحرب كان الهجوم على الحصون المصنوعة من التراب أو الخنادق لمقاومة المهاجمة، أو أحيطت القلاع بالنار.

العلم

إن الحضارة الرگويدية قد أسست على حياة سادجة وفكر عال. فلا توجد لها بناءات فاخرة تذكارية، تظهر تقدما ماديا، كما كانت حضارة المصريين أو الآشوريين، ولكن لا تقل لديها براهين على التقدم الفكرى والروحانى. كانت الحياة بسيطة، ولكن كان الفكر عال بالغا أقصى مداه، سائرا فى العالم السرمدى. وبعض أدعية رگويدا، مثل گياترى منترم، تصل أقصى نقطة العلم وتبهر روح البشر إلى الآن. فلا يسمح هندوسى مهما كان عصريا بأى تبديل فى حركاتها وسكناتها وألفاظها الأصلية.

إن تاريخ رگويدا هو تاريخ ثقافة عهده. ورگويدا فى شكله الموجودة تأليف مجموعة محتوية على عدة حصص، وينتمى إلى أدوار تاريخية مختلفة. فهو لا يشتمل على الأناشيد فى حمد الآلهة، وعلى الأدعية، وعلى ترتيلات التضحية فحسب، بل على قصص شعرية، وكسرات من أشعار دنيوية، وأناشيد تعبر تفكرات فلسفية عالية أيضا. ويشير نص رگويدا إلى أشعار قديمة ومتأخرة، وإلى العلماء الأقدمين والمتأخرين الذين صنفوا أناشيده. وذلك لأن محتوياته ألفت خلال العصور. فكان كل عالم ينشد الأناشيد التى أوحيت إليه خلال تأملاته العميقة التى تأسست على ممارسة الامتناع من اللذات. ويورث العالم أناشيده ولده التلميذ، وأسرته. فهكذا أصبحت عائلات العلماء مدارس ويدية تحمل مجموعة أناشيدها وتنقلها من الوالد إلى الولد، أو من المرشد إلى التلميذ. فجمعت كمية كبيرة من تأليف هذه العائلات أو المدارس الويدية. فكانت ذخيرة عمومية من الأناشيد الملية. ولأجل العبادة كانت هناك حاجة إلى منتخبات يسيرة الحصول من تلك المجموعة الضخمة من الأناشيد. هكذا تولدت المنتخبات المسماة بـ «رگويدا سمہتا» وخرجت منه ثلاث شقات ويدية أخرى: ساما، وياجرس، وأثروان. فلدينا

أربعة أدوار لنمو العلم الويدى :

١ ـ الأناشيد الابتدائية

٢ ـ الأناشيد فى مختلف المدارس أو المراكز من أسر العلماء المختلفة

٣ ـ انتخاب الأناشيد فى مجموعة رگويدا سمهتا

٤ ـ نمو ثلاث شقات ويدية أخرى من الانتخابات المحفوظة فى رگويدا سمهتا

ويظهر من كل هذا الصنع الذى سجل فى رگويدا بأن له تاريخا طويلا . فيقول ميكدانل : « ولا بد أن وجود جميع هذه الأناشيد فى رگويدا إحتاج إلى عدة قرون » . ويقول ونترنتز : « ولا بد أن مضت عدة قرون بين الأناشيد الابتدائية وتكميل رگويدا سمهتا » وعلى هذا لما نرى إلى رگويدا نجد فيه مدى ارتقاء سام فى اللغة والفلسفة . ولا يوجد فى السنسكرتية الرگويدية أثر لتقدم اللغة . بل كان قد تم اتقان هيئتها النحوية ؛ وقد عين رمز الفعل وصيغه ، ومفرده وجمعه وشخصه ؛ وقررت جميع قوانين الأحوال (فى الجملة) . وإذا جمعت هذه الميزات فى سيرة حياة لغة ، ظهر أن درجة صرفها متقدمة جداً . وكما يقول بونسين : « وحتى هذه النماذج من الشعر الويدى الأقدم تتعلق بالتاريخ العصرى البشرى » .

وتبدو من القواعد التى استخدمت فى انتخاب الأناشيد وترتيبها فى رگويدا سمهتا ، ومن الطرق التى رتبت لحفظها ، براعة علمية واختراع راق فى الخطة . فأولا انتخب ستة من العلماء الرگويدية على أنهم كانوا أكثرهم نيابة واعتبر مؤلفهم جديرا بأن يحفظ . وهم گريتسمادا ، وويسوامترا ، واماديوا ، وأترى ، وبهردوجا ، ووامستا . ورتبت الأناشيد التى نسبت إليهم فى ستة كتب عائلية ، من « مندل » (أى الفصل) الثانى من رگويدا إلى السابع ، وهذه الفصول هى قلب رگويدا . وأضيفت إليها :

١ ـ مجموعة الأناشيد من العائلات الأخرى ، ويتكون بها النصف الثانى من

« مندل » الأول .

٢ـ النصف الأول من مندل الأول .

٣ـ الأناشيد التى تنسب إلى العالم كنوا ، فى مندل الثامن .

٤ـ أناشيد سوما فى محل واحد فى مندل التاسع ، حتى لا تختلط بالأناشيد التى تتكون بها الأجزاء الأخرى .

٥ـ مجموعة الأناشيد الاضافية ، وعددها ١٩١ ، وهو نفس عدد الأناشيد التى فى مندل الأول ، ويتكون بها مندل العاشر ، وتوجد تلميحات خصوصية فى لغتها وبحر أوزانها ، ومحتوياتها . وهى مشتملة على الأناشيد الفلسفية ، وأخرى على موضوعات شتى كالزواج والدفن .

فيشتمل رگويدا سميتا على ٧٠,٠٠٠ بيت ، منها ٥,٠٠٠ تكرارات . وذلك لأنه قـــد وجد فى البلاد مجموعة كبيرة من الأناشيد فى حالة سيالة ، وأنشد كل واحـــد من العلماء ترانيمه راجعاً إلى تلك الأناشيد السيالة ، كأنها ملك أدبى عمومى ، وجدير بأن يلاحظ أن الأناشيد قد احتفظ بها بصحة تامة فى الأذهان فى الفترة الطويلة بين إنشاء الأناشيـد وبين توليـــد نظام الكتابة على يد علماء النحو الذى نتج به المتن الموجود الآن وسمى بـ « سميتا » . فصان هؤلاء العلماء بأمانة فى متن سميتا ألفاظها الأصليـة التى استعملها الأنبياء القدماء . وكذلك حافظوا على أدق الشذوذات النطقية واللغوية بدون أى سعى منهم أن يبدلوها إلى الطريقـــة المعاصرة لهم إلا إذا كان لا بد من تبديلها على قوانين الكتابة الرائجة فى دور اللغـة السنسكريتية المتأخر حين صحح المتن المقدس

وبعدما كمل الترتيب لمتن سميتا ، إتخذت خطوات أخرى لصيانته هو بدوره ، حتى يسد باب التبديل والفساد بمرور الزمن . ويمكن أن نلاحظ هـذه التدابير ولو أنها إتخذت بعـــد كثير من الزمن . فأولاً رتب متن جديد لسميتا نفسه

يظهر فيه كل كلمة فى شكله المفرد وعلى حالته الأصلية التى كانت قبل قيد الكتابة، وقد فصل المركبات فى أجزائها. ويسمى هذا « پدا-پاتها » أو « المتن اللفظى » ("word text"). والخطوة الأخرى تسمى « كراما-پاتها » أو « المتن السلمى » ("step text") وفيه يلفظ كل كلمة المتن اللفظى مرتين فى كلا الموضعين، قبل كل كلمة وبعدها. فللمثال نأخذ ا ب ح د كأنها تنوب عن أربع كلمات، فكتبت هذه الكلمات هكذا: اب بح حد.

وفضلا عن ذلك أتقن مشروع صيانة الصفاء فى المتن المقدس بتأليف مراجع خصوصية ككتاب الأمثال الذى يقدم التعديلات الادغامية، والتى اضطر إليها أوان تبديلها من كلمات سماعية إلى كلمات صوتية فى صورة متن سمهيتا، وكتاب الفهارس الذى يقيد عدد الأناشيد، والأبيات، والألفاظ، وحتى المقطعات الهجائية الواردة فى المتن المقدس، ليمكن أن تحفظ نزاهته. ويقول ميكدانل فى كتابه « ماضى الهند »: « هذه التدابير قد صانت أمانة الأحاديث بصفة لم يماثلها غيرها فى الأدب القديم ».

التعليم

والآن كلمة عن طرق التعلم والتعليم فى ذلك العهد. كما قد بين، كان بيت المعلم مدرسة لتلاميذه الذين اشتملوا فى الغالب على أبنائه أو أبناء أخيه، وعلمهم المعلم فيها المتون المقدسة التى اختصت به. وحفظ التلاميذ المتون فى بداية الأمر بتكرار ألفاظها. إن رگويدا تشير إلى التلاميذ يكررون الألفاظ التى علمها المعلم. وأعطيت أهمية كبيرة للنطق والتلفظ. فورد ذكر سبعة أشكال فى النطق وأربع درجات فى الخطاب. وكذلك ذكرت براعة العالم وسوامتزا فى القراءة.

ولكن طريقة التعلم الأساسية كانت الممارسة بأعمال الكفارة والامتناع عن اللذات، وهى المنوال الذى يوصل إلى معرفة النفس، وأدى ذلك إلى وجود

الشخصيـــة للوحى الالهى أو إلى المعى الملهم الذى يدرك جميع العلم. ولكن يحد حزءاً من العلم طريقة إلى النطق البشرى. فأوردنا هنا مقاما فلسفيا هاما الذى اتصل به رگويدا، وهو أن ما طهر فى التخليق ليس إلا كسرة من المضمر أو المطلق. وتشير عبارة هامة أحرى إلى الفكر الباطى التركيبى الشديد تتبعة الاستثارة حيث يصبح بها التلميد لئيقا لأن يكون معلما ملهما، ومثاله مثال الضفادع التى تنهض إلى النشاط بعد فترة من غمص بسبب الغيوم.

الديانة والفلسفة

إن بساطـــة الحياة الرگويديه لن تضاد بديانته المتقنة كما يظهر من المجموعة الضخمة من آلهة الأمة.

فلديا أولا مجموعة من الآلهة النائبين عن الظواهر الطبيعية الأساسية، وهم

ا ـ دياؤس (السماء)؛

ب ـ پريتهوى (الأرض)؛

ح ـ واروبا (إله السماء الأصلى)، وهو الموضوع لأفخم أناشيد رگويدا. ويدعى واروبا بلقب أسورا أيضاً، وهو يطـــابق «أهورا مزدا» الايرانى. وفى أناشيـد رگويدا المائلة إلى الفلسفة أكثر من غيرها، يحل «واروبا» محل «ريتا» ويظهر بها نظاما كونيا ويعد ذلك نظاما أخلاقياً؛

د ـ إندرا، اله الرعد الذى يسبب الأمطار. وبالتدريج غلب على «وارونا» فى العبادة الرگويدية. وذلك لما أخذ الآريون يغادرون مناطقة پنجاب اليابسة ويتوجهون شرقيا إلى أرض براهما ورتا المقدسة التى هى ممتازة بأمطارها وعواصفها.

هـ ـ الشمس، وكانت تعبد بخمسة أشكال:

١ ـ سوريا (الشمس)،

٢ ـ ساوتری، ممثلة قوة الشمس الانتعاشية،
٣ ـ مترا، الذى اشتهر فى إيران أكثر من شهرته فى الهند، وهو ينسب إلى وارونا،
٤ ـ پوشان، الذى يرمز إلى قوة الشمس لتأثيرها فى نمو الحشيش والنبات،
٥ ـ وشنو، الذى ينوب عن الشمس السائرة المسرعة فى رگويدا، وعبد فى ما بعد كإله بذاته،

و ـ رودرا أو إله العواصف والمشرع عن شيوا المتأخر،
ر ـ أسوين الصبح وأسوين المساء، الممثلين نجمى الصباح والمساء،
ح ـ مروت، آلهة العواصف الذين خدموا «رودرا»،
ط ـ وايو | إلاها الرياح؛
ى ـ واتا |
يا ـ پارجانيا، إله المطر، والمياه، والأنهر،
يب ـ أوشا، إله الصبح الذى ألهم بعض أشعار بديعة فى رگويدا.

ولدينا بعد هذا مجموعة من آلهة للعائلة

ا ـ أگنى، إله النار فى ثلاثة أشكاله: الشمس فى السماء، والرعد، والنار الدنيوية،
ب ـ سوما (ماء الحياة)، الذى ألهم أناشيداً رمزية فى الغاية فى رگويدا وينتمى إلى القمر.

ولدينا مجموعة آلهة معنوية أيضاً.

ا ـ شردها، الايمان،
ب ـ مينو، الغضب،

وتوجد هناك بعض الآلهة بالأهمية الزهيدة أمثال:

ا ـ ريبوس، العفاريت الفضائية،
ب ـ أپسارا، جنيات البحيرات،

ج ـ گدهروا، حيات الفضائية.

وتارة يدرك الآلهـة بالحيوانات، كاندرا بالثور، والشمس كالجواد المسرع.

ولكن هذا لا يدل على عبادة الحيوانات فى رگويدا. وكذلك لا يوجد فى رگويدا أثر للطوطمية أى الايمان فى سلف حيوان حتى يعتبر ذلك الحيوان مقدسا وجليلا. ولا يوجد أثر لعبادة الثعبان، ولو أن الثعبان إله الهاوية، أو الذى يخرج منه ماء يتولد به الشيطان والذى قتله إندرا. وهناك بعض الأثر للحس الذى يعاون صاحبه كما يظهر على سبيل المثال فى استعمال تمثال إندرا للوقاية من الأعداء. وكان هناك أعداء للآلهة الركويدية أشير التى بأسورا وراكشاسا

وتشتمل الديانة الركويدية فى الأساس على عبادة الآلهـة الذين يرجى منهم الاحسان أو البركة، وذلك بتقديم تضحية مقررة، وأمكن بها الحصول على المرام واحتوت التضحية على تقدمة من اللبن، والحب، والسمن واللحم، و « سوما » ولكن وردت فى رگويدا تفاصيل عن تضحية سوما فقط

ولقد نشأت الديانة الرسمية إلى حد بعيد حتى أوجدت سبع أقسام من الكهنة لأداء تلك الرسوم، وهم كهنة هوترى الذين ترنموا الأناشيد، وكهنة أدواريو الذين قاموا بالأعمال اليدوية فى العبادة، وكهنة أودگاترى الذين غنوا أغنية « سامن » مع مسمعيهم. وكان بعض أنواع التضحية متقناً وعال، حتى لا يقدر عليه إلا الملوك والأمراء فقط. وعلى ذلك يعتبر رگويدا أرستوقراطياً فى مظهره، وليس فيـه ديانة عمومية تليق بعامة الشعب.

وتنتهى هـذه الديانة الطقوسية إلى فلسفة عميقة توجـد فى الجزء العاشر من رگويدا، وكذلك فى عبارات أخرى. فقـد أورد الإرتياب فى فهم تكاثر الآلهة بالوضاحة، وأثبت وحدة العالم فى النهاية كمخلوق لله الواحد الذى تنتهى

إليه الخصوصيات المختلفة. وكذلك قدم التخليق كنتيجة قربان قام به الروح الأعظم، أو نتيجة تطور من العدم الذى يوجد فى شكل الماء أو الحرارة. وتشير عبارة رگويدية بالوصاحة إلى «الحق الوحيد الذى يتكلم بلسان الأنبياء فى طرق مختلفة، ويسميهم «أگنى» أو «ياما» أو «ماتريسوان».

وأخيراً يعتقد رگويدا بالحياة بعد الممات فى عالم تحت سيطرة «ياما».